حكايات الشعوب

حضرة العمدة

وحكايات أخرى
من السلاف



عبد التواب يوسف
رسوم : ممدوح طلعت

سفير

حضرة العمدة

و حكايات أخرى
من
السلاف



عَبدالتَّواب يُوسُف

رسوم
مَمْدُوح طَلْعَت

حَضْرَةُ الْعُمْدَة

يُحْكَى أَنَّهُ كَانَ هُنَاكَ مُزَارِعٌ ثَرِىٌّ ، يُرِيدُ أَنْ يَفُوزَ فِى كُلِّ صَفْقَةٍ يَدْخُلُ فِيهَا بِنَصِيبِ الأَسَدِ ؛ لِذَلِكَ لَمْ يَكُنْ غَرِيبًا أَنْ يُسَاوِمَ بِاسْتِمْرَارٍ فِى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ. وَقَدْ وَعَدَ رَاعِيًا عِنْدَهُ بِأَنْ يُعطِيَهُ عِجْلا صَغِيرًا فِى مُقَابِلِ عَمَلِه عِنْدَهُ. وَلَمَّا حَلَّ مَوعِدُ تَنْفِيذِ هَذَا الْوَعْدِ ، رَفَضَ الْمُزَارِعُ إِعْطَاءَهُ الْعِجْلَ ، وَاضطُرَّ الرَّاعِى إِلَى أَنْ يَلْجَأَ إِلَى عُمْدَةِ الْبَلْدَةِ ؛ يَشْكُو إِلَيْهِ الأَمْرَ .

وَكَانَ الْعُمدَةُ شَابا صَغِيرًا ، تَوَلَّى مَنْصِبَهُ مُنْذُ وَقْتٍ قَرِيبٍ ، وَلَمْ تَكُنْ لَدَيْهِ خِبْرَةٌ كَافِيَةٌ فِى حَلِّ هَذِهِ الْمُشْكِلاتِ وَعِنْدَمَا استَمَعَ إِلَى الطَّرَفَيْنِ لَمْ يَستَطِعْ أَنْ يَحكُمَ فِى القَضِيَّةِ ، أَوْ يَبِتَّ فِى الأَمْرِ لِصَاحِبِ الْحَقِّ ؛ لِذَلِكَ قَالَ :

سَوْفَ أَطْرَحُ عَلَيْكُم لُغْزًا ، وَمَنْ مِنكُمَا يُقَدِّمُ الْجَوَابَ الأَصَحَّ وَالأَصْلَحَ ، يَكُونُ الْعِجلُ لَهُ . هَلْ تُوَافِقَانِ ؟

لَمْ يَكُنْ أَمَامَ الْمُتَنَازِعَيْنِ غَيْرُ قَبُولِ هَذَا الْحُكْمِ الْعَجِيبِ ، والاقْتِرَاحِ الْغَرِيبِ ، فَقَالَ الْعُمْدَةُ: هَذَا هُوَ اللُّغْزُ : مَا هُوَ أَسْرَعُ شَىْءٍ فِى الدُّنْيَا ، وَمَا أَحْلَى مَا فِيهَا ، وَمَا هُوَ أَكْثَرُهَا غِنًى وَثَرَاءً ؟

عَادَ الْمُزَارِعُ إِلَى بَيْتِهِ غَاضِبًا ، يَقُولُ لِنَفْسِهِ :



مَا هَذَا الْعُمْدَةُ الشَّابُّ الَّذِى لا يَعْرِفُ كَيْفَ يَقْضِى بَيْنَ النَّاسِ ؟ لَوْ أَنَّهُ حكَمَ لِصَالِحِى لأَهْدَيْتُهُ سَلَّةً مِنَ الْكُمَّثْرَى، أَمَّا الآنَ فَإِنَّنِى مُقْدمٌ عَلَى فَقْدِ هَذَا الْعِجْلِ ؛ لأَنَّنِى لَنْ أَسْتَطِيعَ أَنْ أَحِلَّ هَذَا اللُّغْزَ الْغَبِىَّ . وَعِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى دَارِهِ ، سَأَلَتْهُ زَوْجَتُهُ :

أَرَاكَ مُتَجَهِّمًا حَزِينًا ، مَاذَا بِكَ ؟

- هَذَا الْعُمْدَةُ الشَّابُّ . إِنَّهُ جَدِيدٌ عَلَى مَنْصِبِهِ ، لَوْ أَنَّ الْعُمْدَةَ الْقَدِيمَ كَانَ مَكَانَهُ لأَعْطَانِى الْعِجْلَ بِلامُنَاقَشَةٍ ، أَمَّا صَاحِبُنَا هَذَا فَإِنَّهُ يَسْتَخْدِمُ الأَلْغَازَ فِى حَلِّ الْقَضَايَا الَّتِى تُوَاجِهُهُ وَ الْمُشْكِلاتِ الَّتِى تَعْتَرِضُهُ.

وَعِنْدَمَا سَمِعَتِ الزَّوْجَةُ اللُّغْزَ ، ابْتَسَمَتْ ، وَقَالَتْ :

- لا تَنْزَعِجْ ، وَلا تَقْلَقْ يَا زَوْجِى الْعَزِيزَ . إِنَّ لَدَىَّ الْحَلَّ .

- حَقا ؟



- إِنَّ أَسْرَعَ شَىْءٍ فِى الدُّنْيَا هُوَ حِصَانُنَا ، الَّذِى يُسَابِقُ الرِّيحَ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ أَمَّا أَحْلَى شَىْءٍ فَهُوَ الْعَسَلُ الَّذِى نَأْخُذُهُ من خَلايَا النَّحْلِ الَّذِى نُرَبِّيهِ ، هَلْ أَنْتَ مَعِى؟

أَمَّا أَكْثَرُ الأَشْيَاءِ غِنًى فَهُوَ خِزَانَتُنَا الَّتِى تَمْتَلِئُ بِالذَّهَبِ ، وَالْفِضَّةِ وَ الْمُجَوْهَرَاتِ ، إِنَّنِى عَلَى ثِقَةٍ مِنْ ذَلِكَ .

فَرِحَ الْمُزَارِعُ ، وَظَهَرَتِ الْفَرْحَةُ عَلَى قَسَمَاتِ وَجْهِهِ ، وَقَالَ :

شُكْرًا لَكِ يَا زَوْجَتِىَ الْعَزِيزَةَ ، لا شَكَّ أَنَّ مُحَاوَلَتَكِ حَلَّ اللُّغْزِ صَحِيحَةٌ وَسَلِيمَةٌ ، وَسَوْفَ نَسْتَرِدُّ هَذَا الْعِجْلَ، وَلَنْ يَذْهَبَ أَبَدًا إِلَى ذَلِكَ الرَّاعِى الطَّمَّاعِ الطَّمُوحِ .

وَعِنْدَمَا عَادَ الرَّاعِى إِلَى بَيْتِهِ كَانَ



حزيناً ، مُقَطَّبَ الْوَجْهِ ، يَتَنَهَّدُ ، ويَزْفِرُ ، واسْتَقْبَلَتْهُ ابْنَتُهُ الْجَمِيلَةُ الذَّكِيَّةُ عِنْدَ الْبَابِ ، وتَعَلَّقَتْ بِرَقَبَتِهِ تُقَبِّلُهُ ، وتَسْأَلُهُ عَمَّا بِهِ :

مَاذَا هُنَالِكَ يَا أَبِي ، ومَاذَا قَالَ الْعُمْدَةُ؟ إِنَّنِي أَظُنُّ أَنَّنِي قَدْ فَقَدْتُ الْعِجْلَ إِلَى الأَبَدِ ؛ إِذْ طَرَحَ عَلَيْنَا الْعُمْدَةُ لُغْزًا، لا أَظُنُّنِي قَادِرًا عَلَى أَنْ أَجِدَ لَهُ الْجَوَابَ الصَّحِيحَ ، يَا عَزِيزَتِي مَانْكَا.

مَا هَذَا اللُّغْزُ ؟ قَدْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أُسَاعِدَكَ فِي حَلِّهِ . ذَكَرَ الرَّاعِي الأَسْئِلَةَ الثَّلاثَةَ الَّتِي طَرَحَهَا الْعُمْدَةُ عَلَيْهِ وعَلَى خَصْمِهِ الْمُزَارِعِ ، وَسَكَتَتْ مَانْكَا ، وأَخَذَتْ تُفَكِّرُ فِي حَلِّ هَذَا اللُّغْزِ . وفِي الْيَوْمِ التَّالِي عِنْدَمَا كَانَ الرَّاعِي يَسْتَعِدُّ لِلذَّهَابِ إِلَى الْعُمْدَةِ ، أَجَابَتْ مَانْكَا إِجَابَةً ، رَأَتْ أَنَّهَا السَّلِيمَةُ .

وعِنْدَمَا وَصَلَ الْخَصْمَانِ إِلَى الْعُمْدَةِ ، فَرَكَ الْمُزَارِعُ يَدَيْهِ فِي بَعْضِهِمَا ، ولاحَتْ عَلَى وَجْهِهِ ابْتِسَامَةٌ عَرِيضَةٌ ، وتَطَلَّعَ إِلَى الْعُمْدَةِ فِي ثِقَةٍ ، وأَعَادَ هَذَا مِنْ جَدِيدٍ طَرْحَ الأَسْئِلَةِ الثَّلاثَةِ عَلَى الْمُتَقَاضِيَيْنِ ، وانْبَرَى الْمُزَارِعُ يَقُولُ :

- أَسْرَعُ مَا فِى الدُّنْيَا حِصَانِى ، وأَحْلَى مَا فِيهَا عَسَلِى ، وَأَغْنَى وَأَثْرَى شَىْءٍ هُوَ : خِزَانَتِى الْعَامِرَةُ بِكُلِّ مَاهُوَ ثَمِينٌ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْمُجَوْهَرَاتِ .

وَنَفَخَ الْمُزَارِعُ صَدْرَهُ ، وأَطَالَ رَقَبَتَهُ ، وَهَزَّ رَأْسَهُ ؛ عَلامَةً عَلَى الْفَوْزِ وَالانْتِصَارِ ، وَتَسَاءَلَ فِى اسْتِنْكَارٍ: هَلْ لَدَى الرَّاعِى إِجَابَةٌ مِثْلُ الَّتِى ذَكَرْتُهَا ؟

تَقَدَّمَ الرَّاعِى ، وَحَنَى رَأْسَهُ قَلِيلا ، وَقَالَ فِى هُدُوءٍ وَعُمْقٍ :

أَسْرَعُ مَافِى الْوُجُودِ هُوَ «الأَفْكَارُ» ؛ إِذْ تَأْتِى الْفِكْرَةُ فِى لَمْحِ الْبَصَرِ ، وَ هكَذَا تَمْضِى الأَفْكَارُ لَهَا أَجْنِحَةٌ . أَمَّا أَحْلَى شَىْءٍ يَا إِخْوَتِى فَهُوَ «النَّوْمُ» ، فَهَلْ تَرَوْنَ شَيْئًا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِى حَلاوَتِهِ ، وَخَاصَّةً عِنْدَمَا نَتْعَبُ ؟ أَمَّا أَكْثَرُ الأَشْيَاءِ غِنًى وثَرَاءً فَهُوَ «الأَرْضُ» ؛ لأَنَّهَا مَصْدَرُ كُلِّ الْغِنَى وَكُلِّ الثَّرَاءِ فِى هَذَا الْوُجُودِ بِمَنَاجِمِهَا وَآبَارِهَا ، بِغَابَاتِهَا وَزِرَاعَاتِهَا .

تَطَلَّعَ إِلَيهِ الْعُمْدَةُ وَهُوَ يَقُولُ : إِنَّ الْعِجْلَ لَكَ .

وَنَظَرَ إِلَى الْمُزَارِعِ مُتَسَائِلا :

- أَلَمْ تَكُنْ إِجَابَاتُهُ الأَفْضَلَ وَالأَحْسَنَ ؟ إِنَّ لَدَىَّ رَغْبَةً عَارِمَةً فِى أَنْ أَعْرِفَ مَنْ سَاعَدَهُ عَلَيْهَا ؛ فَلا أَظُنُّهَا مِنْ عِنْدِهِ .

فِى الْبِدَايَةِ رَفَضَ الرَّاعِى أَنْ يُعْلِنَ بِمَنْ أَعْطَتْهُ الإِجَابَاتِ ، لَكِنَّ الْعُمْدَةَ ضَغَطَ عَلَيْهِ ؛ فَاضْطُرَّ إِلَى أَنْ يَذْكُرَ أَنَّهَا ابْنَتُهُ «مَانْكَا» ، فَقَالَ الْعُمْدَةُ :



- إِنَّ فِى جُعْبَتِى الْكَثِيرَ مِمَّا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ ابْنَتِكَ مَانْكَا ؛ مِنْ أَجْلِ مَزِيدٍ مِنَ الاخْتِبَارِ لَهَا .

اعْتَدَلَ الْعُمْدَةُ فِى جِلْسَتِهِ ، وَأَسَرَّ إِلَى خَادِمِهِ أَنْ يُحْضِرَ عَشْرَ بَيْضَاتٍ أَعْطَاهَا لِلرَّاعِى ، وَهُوَ يَقُولُ :

خُذْ هَذِهِ الْبَيْضَاتِ ، وَاجْعَلِ ابْنَتَكَ مَانْكَا تُعَجِّلُ بِفَقْسِهَا غَدًا، وَاحْمِلْ إِلَىَّ الْكَتَاكِيتَ أَوِ الْفِرَاخَ الْعَشَرَةَ.



وَعِنْدَمَا عَادَ الرَّاعِى إِلَى الْبَيْتِ أَبْلَغَ ابْنَتَهُ بِمَا طَلَبَهُ الْعُمْدَةُ ، وَضَحِكَتِ الْفَتَاةُ الذَّكِيَّةُ ، وَقَالَتْ لأَبِيهَا :

- خُذْ يَا أَبِى حَفْنَةً مِنْ تُرَابِ الأَرْضِ ، وَاذْهَبْ بِهَا إِلَى الْعُـمْدَةِ ، وَقُلْ لَهُ : إِنَّ ابْنَتِى تَسْأَلُكَ : هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَزْرَعَهَا بِمَحْصُـولٍ مَا ، فِى يَوْمِنَا هَذَا ، وَتَحْصُدُهُ غَدًا ؟ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَإِنَّ ابْنَتِى عَلَى اسْـتِعْدَادٍ لأَنْ تَبْعَثَ إِلَيْكُمْ بِالْفِرَاخِ ؛ لِكَى تُطْعِمَهَا مَا حَصَدْتَهُ مِنْ زَرْعِكَ !

وَعِنْدَمَا سَمِعَ الْعُمْدَةُ ذَلِكَ ضَحِكَ طَوِيلا مِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِهِ ، وَقَالَ :

إِنَّهَا فَتَاةٌ ذَكِيَّةٌ ، بَـلْ هِىَ غَايَةٌ فِى الذَّكَاءِ ، وَإِذَا كَانَ جَمَالُهَا فِى مُسْتَوَى ذَكَـائِهَا ، فَإِنَّنِى أَرَى أَنَّهَا تَصْلُحُ زَوْجَةً لِى، وَعَلَيْكَ أَنْ تُبْلِغَهَا بِأَنْ تَأْتِىَ لِزِيَارَتِى ، بِشَرْطِ أَلا يَكُونَ ذَلِكَ بِالنَّهَارِ أَوْ بِاللَّيْلِ ، وَ أَلاتأْتِىَ رَاكِبَةً أَوْ سَائِرَةً عَلَى الأَقْدَامِ ، وَأَلا تَكُونَ عُرْيَانَةً ، أَوْ مُرْتَدِيَةً ثِيَابَهَا .

نَقَلَ الرَّاعِى رِسَالَةَ الْعُمْـدَةِ إِلَى ابْنَتِهِ الَّتِى انْتَظَرَتْ إِلَى الْيَوْمِ التَّالِى ، وَمَعَ الْفَجْرِ وَعِنْدَمَـا مَضَى اللَّيْلُ وَلَمْ يُقْبِلِ

الصَّباحُ بَعْدُ ، ذَهَبَتْ إِلَى الْعُمْدَةِ ، لَفَّتْ نَفْسَهَا فِى شَبكَةِ صَيْدٍ ، وَمَشَتْ عَلَى قَدَمٍ وَاحِدَةٍ وَوَضَعَتِ الأُخْرَى فَوْقَ عَنْزَتِهَا الصَّغِيرَةِ وَاسْتَقْبَلَهَا الْعُمْدَةُ فَقَالَتْ لَهُ :

- لَسْنَا الآنَ بِاللَّيْلِ أَوْ بِالنَّهَارِ ، نَحْنُ فِى الْفَجْرِ ، ثُمَّ إِنَّنِى لَسْتُ عُرْيَانَةً وَلا أَضَعُ فَوْقِى ثِيَابِى، وَلا تَرَانِى لا رَاكِبَةً عَنْزَتِى ، وَلا أَنَا أَمْشِى عَلَى قَدَمِى .

انْبَهَرَ الْعُمْدَةُ الشَّابُّ بِذَكَاءِ مَانْكَا ، وحُسْنِ تَصَرُّفِهَا وَسَعَةِ أُفُقِهَا ، وَطَرِيقَةِ تَفْكِيرِهَا ، وَتَقَدَّمَ إِلَى أَبِيهَا يَطْلُبُ يَدَهَا وَاشْتَرَطَ عَلَيْهَا قَائِلا :

- مَانْكَا، عَلَيْكِ أَلا تُمَارِسِى ذَكَاءَكِ هَذَا عَلَىَّ شَخْصِيا ، وَلا عَلَى حِسَابِى ، وَأُحَذِّرُكِ مِنَ التَّدَخُّلِ فِى عَمَلِى ، أَوْ فِى قَضَايَاىَ ، بِأَىِّ شَكْلٍ مِنَ الأَشْكَالِ ، وَأَنْت مَمْنُوعَةٌ تَمَامًا أَنْ تُقَدِّمِى لأَحَدٍ رَأْيَك أَوْ مُسَاعَدَتَك إِذَا لَجأَ إِلَىَّ ؛ إِنَّك إِذَا فَعَلْتِ شَيْئًا مِنْ هَذَا فَإِنَّنِى سَأَتَخَلَّصُ مِنْكِ فِى التَّوِّ وَاللَّحْظَةِ ، وَأُعِيدُكِ إِلَى بَيْتِ أَبِيكِ . . هَلْ تُوَافِقِينَنِى عَلَى هَذَا الشَّرْطِ ؟

احْمَرَّ وَجْهُ الْفَتَاةِ ، وَخفَضَتْ صَوْتَهَا وَرَأْسَهَا ، وَهِىَ تَقُولُ فِى رِقَّةٍ وَعُذُوبَةٍ : نَعَمْ أُوَافِقُكَ .

وَتَمَّ زَوَاجُ الْعُمْدَةِ مِنْ مَانْكَا ، وَكَمَا يَقُولُون دَائِمًا فِى الْحِكَايَاتِ: وَأُقِيمَتِ الأَفْرَاحُ وَاللَّيَالِى الْمِلاحُ



وَذَاتَ يَوْمٍ جَاءَ إِلَى دَارِ الْعُمْدَةِ فَلاحَانِ يَتَنَازَعَانِ مِلْكِيَّةَ مُهْرٍ صَغِيرٍ ، وَضَعَتْهُ فَرَسُ أَحَدِهِمَا تَحْتَ عَرَبَةِ الآخَرِ فِى السُّوقِ ، فَادَّعَى كُلٌّ مِنْهُمَا أَنَّهُ لَهُ . وَكَانَ الْعُمْدَةُ مَشْغُولا بِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ ، وَرَغِبَ فِى أَنْ يَفْرُغَ مِنْ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ بِسُرْعَةٍ، وَإِذَا بِهِ فِى عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِهِ يَحْكُمُ بِأَنَّ الْمُهْرَ الصَّغِيرَ مِنْ حَقِّ صَاحِبِ الْعَرَبَةِ الَّتِى وُلِدَ تَحْتَهَا .

وَعِنْدَمَا كَانَ الْفَلاحُ صَاحِبُ الْفَرَسِ الأُمِّ يُغَادِرُ بَيْتَ الْعُمْدَةِ الْتَقَى مَعَ «مَانْكَا» عَلَى غَيْرِ قَصْدٍ وَحَكَى لَهَا مَا حَدَثَ مِنْ زَوْجِهَا ، فَغَضِبَتْ فِيمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ نَفْسِهَا مِنْ هَذَا الْحُكْمِ الْجَائِرِ الَّذِى أَصْدَرَهُ ، وَقَالَتْ لِلْفَلاحِ :



عُدْ إِلَيْنَا بَعْدَ ظُهْرِ الْيَـوْمِ ، وَمَعَكَ وَاحِدَةٌ مِنْ شِبَاكِ صَيْدِ الأَسْمَاكِ ، وَافْـرِشْهَا عَلَى الأَرْضِ ، بِعَرْضِ الطَّرِيقِ ، وَعِنْدَمَا يَرَاكَ الْعُـمْدَةُ تَفْعَلُ ذَلِكَ فَسَـوْفَ يَخْرُجُ وَيَسْأَلُكَ : مَاذَا تَفْـعَلُ ؟ قُلْ لَهُ : إِنَّكَ تَصِيدُ السَّمَـكَ! وَإِذَا مَا قَالَ لَكَ: كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ تَتَـوَقَّعَ صَيْدَ السَّمَكِ مِنْ فَوقِ الأَرْضِ ، قُلْ لَهُ : لَيْسَ هُنَاكَ مَـاهُوَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ ؛ لأَنَّهُ عَلَى الأَقَلِّ أَسْهَلُ بِكَثِيرٍ مِنْ أَنْ تَلِدَ عَرَبَةٌ مُهْرًا صَغِيـرًا . وَعِنْدَهَا سَوْفَ يُحِسُّ أَنَّهُ قَدْ ظَلَمَكَ ، وَيُعِيدُ إِلَيْكَ مُهْرَكَ . وَتَنَبَّهْ إِلَى شَيْءٍ مُهِمٍّ ؛ احْذَرْ أَنْ تَقُولَ لَهُ : إِنَّنِى أَنَا الَّتِى أَرْشَدَتْكَ إِلَى هَذَا ، وَدَلَّتْكَ عَلَيْهِ .

وَبَعْدَ ظُهْرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ جَاءَ الْفَلاحُ بِالشَّبَكَةِ ، وَأَلْقَى بِهَـا عَلَى الأَرْضِ أَمَامَ بَيْتِ الْعُمْدَةِ ، الَّذِى رَآهُ ، وَسَأَلَهُ عَمَّا يَفْعَلُهُ ، وَدَارَ الْحِـوَارُ بَيْنَهُمَا عَلَـى نَفْسِ مَا تَوَقَّعَـتْهُ «مَانْكَا»، وَفِـعْلا اعْتَرَفَ الْـعُمْدَةُ بِأَنَّهُ قَـدْ أَخْطَأَ فِى حُكْمِهِ فِى الصَّبَـاحِ ، وَأَعَادَ إِلَى الرَّجُلِ مُهْـرَهُ ، لَكِنَّهُ أَحَسَّ مِنْ تَسَلْسُلِ الأَحْدَاثِ أَنَّ «مَـانْكَا» لابُدَّ أَنْ تَكُونَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ ؛ لِذَلِكَ سَأَلَ الرَّجُلَ فِى إِصْرَارٍ عَمَّنْ دَبَّرَ لَهُ هَذَا الأَمْرَ ، وَوَضَـعَ لَهُ هَذِهِ الْخُطَّةَ ، وَحَاوَلَ الْفَلاحُ أَنْ يُخْفِى الأَمْرَ عَنِ الْعُمْدَةِ ، إِلا أَنَّهُ رَفَضَ أَنْ يَدَعَهُ يُغَادِرُ الْمَكَانَ قَبْلَ أَنْ يَعْتَرِفَ لَهُ بِالأَمْرِ، وَيَكْشِفَ السِّتَارَ عَمَّنْ عَاوَنَهُ وَسَاعَدَهُ .

وَعِنْدَمَا شَعَرَ بِأَنَّ الْعُمْدَةَ مُصِرٌّ عَلَى مَـعْرِفَةِ صَاحِبِ الْفِكْرَةِ اضْطُرَّ الرَّجُلُ إِلَى أَنْ يُعْلِنَ أَنَّهَا «مَانْكَا» ، وَأَنَّهُ مَا مِنْ شَخْصٍ آخَرَ يَسْتَطِيعُ قَطُّ أَنْ يُفَكِّرَ بِهَذَا الأُسْلُوبِ وَهَذِهِ الطَّرِيقَةِ غَيْرُهَا هِىَ وَحْدَهَا .

فَقَدَ الْعُمْدَةُ صَوَابَهُ ، وَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا ، وَذَكَّرَ زَوْجَتَهُ بِمَا سَبَقَ أَنِ اشْتَرَطَ عَلَيْهَا قَبْلَ الزَّوَاجِ ، وَقَالَ :

- لا أَظُنُّكِ نَسِيتِ مَـا حَذَّرْتُكِ مِنْهُ يَوْمَئِـذٍ ، إِذَا أَنْتِ تَدَخَّلْتِ فِى عَمَلِى . إِنَّ عَلَيْكِ الآنَ أَنْ تُغَـادِرِى بَيْتِى إِلَى بَيْتِ أَبِيكِ ، وَلَيْسَ مَسْمُوحًا لَكِ أَنْ تَحْمِلِى مِنْ عِنْدِى غَيْرَ شَىْءٍ وَاحِـدٍ . . وَاحِدٍ فَقَطْ ، تَرْغَبِينَ فِيهِ وَتَعْتَزِّينَ بِهِ ، حَتَّى لا يُقَالَ : إِنَّنِى قَدْ أَسَـأْتُ مُعَامَلَتَكِ أَوْ أَخْطَأْتُ فِى حَقِّكِ .

لَمْ يَكُنْ لَدَى مَانْكَا مِنْ عُـذْرٍ لِمَا صَنَعَتْـهُ وَلا مَا كَانَ هُنَاكَ مُـبَرِّرٌ لِمَا عَـمِلَتْهُ ؛ لِذَلِكَ اعْتَـرَفَتْ بِأَنَّهَا أَخْطَأَتْ ، وَقَالَتْ لِزَوْجِهَا حَضْرَةِ الْعُمْدَةِ فِى اسْتِعْطَافٍ :

إِنَّنِى يَا زَوْجِىَ الْعَزِيزَ مَا كُنْتُ أُرِيدُ بِمَـا فَعَلْتُ غَيْرَ أَنْ يَصِلَ الْحَقُّ إِلَى صَاحِبِـهِ لا أَكْثَرَ وَلا أَقَلَّ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ سَوْفَ أَسْـتَجِيبُ لِمَا أَمَـرْتَ بِهِ ، وَهَذَا حَقُّكَ ، وَسَـأَعُودُ إِلَى كُـوخِ أَبِى ، حَامِلَةً مَعِى ذَلِكَ الشَّىْءَ الْوَحِـيدَ الَّذِى أَذِنْتَ بِهِ ، وَالَّذِى أَتَمَنَّاهُ وَأَرْغَبُ فِـيهِ ، غَيْـرَ أَنَّنِى أَرْجُوكَ أَنْ يَحْـدُثَ هَذَا بَعْدَ أَنْ أَتَنَاوَلَ مَـعَكَ طَعَامَ الْعَـشَاءِ. إِنَّهُ الْعَشَـاءُ الأَخِيـرُ لِى فِى هَذِهِ الدَّارِ ، فَلا تَحْـرِمْنِى مِنْهُ ، وَلَنْ أَتَبَادَلَ مَـعَكَ كَلِمَةً وَاحِـدَةً ، وَلَنْ تَصْدُرَ مِنِّى عِـبَارَةُ اعْتِرَاضٍ وَاحِدَةٌ عَلَى قَرَارِكَ ، وَلْنَكُنْ وَدُودَيْنِ ، كُلٌّ مَعَ الآخَرِ ، كَمَا كُنَّا دَائِمًا ، وَلْنَفْتَرِقْ كَصَدِيقَيْنِ.

وَافَقَ الْعُمْدَةُ عَـلَى مَا طَلَبَتْهُ «مَانْكَا» الَّـتِى أَخَذَتْ تُعِدُّ لَهُ أَفْخَرَ أَنْوَاعِ الـطَّعَامِ وَالشَّرَابِ مِمَّا يُحِـبُّهُ وَيَحْلُو لَهُ مِنْ صُنْعِ يَدَيْهَـا ، وَجَلَسَا مَعًـا إِلَى مَائِدَةِ الْعَـشَاءِ ، وَأَخَـذَتْ تُقَدِّمُ لَهُ هَذِهِ الأَطْبَاقَ وَاحِـدًا بَعْدَ الآخَـرِ ، وَتَسْقِـيهِ مِنَ الأَكْوَابِ شَرَابًا لَذِيذًا طَهُورًا ، وَعِـنْدَمَا انْتَهَيَا مِنْ وَجْبَتَـيْهِمَا بَدَأَ النَّوْمُ يُدَاعِبُ جُفُونَ الْعُـمْدَةِ ، وَلَمْ تُحَاوِلْ «مَانْكَا»



إِيقَاظَهُ ، بَلْ حَمَلَتْهُ مَعَهَا ، وَهُوَ مُسْتَغْرِقٌ فِى نَوْمِهِ ، وَمَضَتْ بِهِ إلَي بَيْتِ أَبِيهَا فِى عَرَبَةٍ أَعَدَّتْهَا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ .

وَفِى صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِى ،عِنْدَمَـا اسْتَيْقَظَ حَضْرَةُ الْعُمْدَةِ مِنْ نَوْمِهِ ، أَبْدَى دَهْشَتَـهُ الشَّدِيدَةَ ؛ لأَنَّهُ وَجَدَ نَفْسَهُ فِى كُـوخِ وَالِدِ مَـانْكَا ، فَـالْتَـفَتَ حَوْلَهُ ، وَسَـأَلَهَـا فِى غَضَـبٍ شَدِيدٍ: مَنْ أَتَـى بِى إِلَى هُنَا ؟ وَمَـاذَا يَعْنِى هَذَا ؟

قَالَت مَـانْكَا : لا شَىْءَ ، يَا زَوْجِى الْعَزِيزَ ، إِنَّنِى أُنَفِّـذُ مَا أَمَرْتَ أَنْتَ بِهِ ، حِينَ قُـلْتَ لِى : إِنَّ مِنْ حَقِّى أَنْ أَحْمِلَ مَعِى شَيْئًا وَاحِدًا أَرْغَبُ فِيهِ وَأَعْتَزُّ بِهِ . . صَاحَ فِى ضِيقٍ: أَنْتِ لَمْ تُجِيبِينِى عَلَى سُؤَالِى الآن.

أَضَافَتْ : إِنَّكَ أَنْتَ يَازَوْجِى الْعَـزِيزَ ذَلِكَ الشَّىْءُ الْوَحِيدُ الَّذِى أَعْـتَزُّ بِهِ ، وَأَرْغَبُ فِيهِ ، وَلا أَسْـتَطِيعُ أَنْ أَعِيشَ بِدُونِهِ ؛ لِذَلِكَ صَحِبْتُكَ إِلَى بَيْتِ أَبِى بِمَـشِيئَتِكَ وَإِرَادَتِكَ . نَهَضَ حَضْرَةُ الْعُمْدَةِ مِنَ الْفِـرَاشِ الْمُتَوَاضِعِ ، وَأَمْسَكَ بِيَدِ زَوْجَتِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ لَهَا :

- مَانْكَا ، يَا عَزِيزَتِى ، أَنْتِ فِى مُنْتَهَى الذَّكَاءِ ، وَأَعْتَـرِفُ لَكِ أَنَّكِ زَوْجَةٌ رَائِعَةٌ ، وَلَسَوْفَ أَقُولُ لِمَنْ يَلْجَأُ إِلَىَّ فِى مُشْكِلَةٍ صَعْبَةٍ: دَعْنِى أَسْتَشِرْ زَوْجَتِى ؛ لأَنَّهَا إِنْسَانَةٌ ذَكِيَّةٌ وَعَادِلَةٌ .

وَتَرَكَ حَضْرَةُ الْعُمْدَةِ وَمَانْكَا كُوخَ الأَبِ إِلَى بَيْتِهِمَا السَّعِيدِ .



كَارَاكُونُوشُ

يَقُولُونَ : إِنَّ الْعَـفَارِيتَ قَـدِ اخْتَفَتْ مِنْ عَلَى ظَهْـرِ الأَرْضِ ، وَمَا عُدْنَا نَـرَاهُمْ ، لَكِنَّ قَرْيَةَ «رُوكْنِيسَ» فِى جِبَالِ «بُوهِيمْيَا» تَزْعُمُ أَنَّهَا تَحْتَفِظُ بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى الْيَوْمِ ، يَعْطِسُ فَتَهُبُّ الرِّيَاحُ، يَعْبِسُ فَتَتَجَمَّعُ السُّحُبُ السَّوْدَاءُ ، وَيَغْضَبُ فَتَثُورُ الْبَرَاكِينُ .

فِى قَرْيَةِ «رُوكْنِيسَ» عَـاشَتْ أَرْمَلَةٌ فَقِيـرَةٌ مِسْكِينَةٌ وَحِيدَةٌ لا تَمْلِـكُ مِنَ الدُّنْيَا غَيْرَ بَعْضِ دَجَـاجَاتٍ ، وَذَاتَ يَوْمٍ جَاعَتِ الْمَرْأَةُ وَاضْطُرَّتْ إِلَى أَنْ تَطْرُقَ بَابَ جِيرَانِهَا ؛ لِتَتَوَسَّلَ إِلَيْهِمْ :

- هَلْ لِى أَنْ أَرْجُوكُمْ أَنْ تُعْطُونِى «كِيلُو» مِنَ الْبَطَاطِسِ وَأُعِيدَهُ لَكُمْ قَرِيبًا؟

سَخِرَ مِنْهَا جَارُهَا ، وَقَالَ لَهَا :

- مِنْ أَيْنَ لَكِ أَنْ تُعِيدِيهِ ! أَنْتِ لا تَمْلِكِينَ شَيْئًا .

قَالَتْ : دَجَاجَتِى تَبِيضُ ، وَعِنْدَمَا . . .

- لا لا . . .

هَذَا مَا قَالَهُ الْجَارُ ، وَهُوَ يُغْلِقُ الْبَابَ فِى وَجْهِهَا .

رَجعَتِ الأَرْمَلَةُ الْمِسْكِينَةُ إِلَى بَيْتِهَا ، ووَجَدتْ أَنَّ دجَاجَاتِهَا قَدْ منَحتْهَا ثلاث بَيْضَات، قَالَتْ لِنَفْسِهَا :

- كَانَ يُمْكِنُ لِهَذَا الْجَارِ - الَّذِى جَارَ عَلَيَّ - أَنْ يُعفِينِى مِنَ الرِّحْلَةِ الطَّوِيلَةِ إِلَى السُّوقِ ، لَوْ أَنَّهُ أَعْطَانِى الْبَطَاطِسَ الَّتِى سَأَلْتُهُ إِيَّاهَا .

ارْتَدتِ الأَرْمَلَةُ ثِيَابَهَا عَلَى عَجَلٍ ، وَحَمَلَتِ الْبَيْضَاتِ الثَّلاثَ ، ومَضَتْ مُسْرِعَةً إِلَى سُوقِ الْقَرْيَةِ ، تُرِيدُ أَنْ تَلْحَقَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَنْفَضَّ ؛ إِذْ إِنَّ الَّذِينَ فِيهِ يَرْحَلُونَ مِنْهُ عَصْرًا ؛ لِيَتَمكَّنُوا مِنَ الْعَوْدَةِ إِلَى قُرَاهُمُ الْبَعِيدَةِ .

الْتَقَتِ الأَرْمَلَةُ فِى طَرِيقِهَا مَعَ رَجُلٍ ، يَنْتَزِعُ أَقْدَامَهُ بِصُعُوبَةٍ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ ، وَيَسِيرُ عَلَى مَهَلٍ ، وَهُوَ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى أَنْ يَلْتَقِطَ أَنْفَاسَهُ ، كَمَا أَنَّهُ يَتَوَقَّفُ كُلَّ خَمْسِينَ خُطْوَةً ؛ لِيَسْتَرِيحَ قَلِيلا ، ثُمَّ يُوَاصِلَ السَّيْرَ. نَادَاهَا الرَّجُلُ بِصَوْتٍ خَافِتٍ قَائِلا :



- هَلْ لَدَيْكِ مَا تُعْطِينِى إِيَّاهُ ، طَعَامًا ؟ مَعِدَتِى خَاوِيَةٌ مُنْذُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ !

- لَيْسَ مَعِى غَيْرُ ثَلاثِ بَيْضَاتٍ ، أَحْتَاجُ إِلَى ثَمَنِهَا !

- اسْتَغْنِى عَنْ وَاحِدَةٍ مِنْهَا.

- تَفَضَّلْ !

أَعْطَتْهُ الأَرْمَلَةُ بَيْضَةً ، وَأَسْرَعَتْ فِى سَيْرِهَا ، لَكِنَّهَا سَمِعَتْهُ بَعْدَ عِدَّةِ خُطُوَاتٍ يُنَادِيهَا مِنْ جَدِيدٍ ، وَيَسْأَلُهَا بَيْضَةً أُخْرَى ، فَقَالَتْ :

- وَهَلْ أَذْهَبُ إِلَى السُّوقِ لأَبِيعَ بَيْضَةً وَاحِدَةً ! أَمْرِى إِلَى اللهِ !

- الأُولَى فَتَحَتْ شَهِيَّتِى .

وَضَعَتِ الْمَرْأَةُ الْبَيْضَةَ فِى

يَدِهِ ، وَمَضَتْ ، غَيْرَ أَنَّهُ نَادَاهَا لِلمرَّةِ الثَّالِثَةِ :

- الْبَيْضَةُ الثَّالِثَةُ ، سَأَشْتَرِيهَا مِنكِ بِمُقَابِلِ جُنَيْهٍ ذَهَبِيٍّ ، وَأَدْفَعُ كَذَلِكَ ثَمَنَ الْبَيْضَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ . . خُذِي . . هَذِهِ ثَلاثَةُ جُنَيْهَاتٍ ذَهَبِيَّةٌ .

ذُهِلَتِ الْمَرْأَةُ ، وَأَخَذَتِ الْجُنَيْهَاتِ ، وَأَعْطَتْهُ الْبَيْضَةَ ، وَعَادَتْ إِلَى الْقَرْيَةِ ، وَطَرَقَتْ بَابَ الْجَارِ الشَّحِيحِ ، وَقَالَتْ لَهُ :

- أُرِيدُ جِوَالِقَ (شُوَال) بَطَاطِسٍ ، وجِوَالِقَ دَقِيقٍ ، وَجِوَالِقَ سُكَّرٍ ، وَبَاقِي جُنَيْهٍ ذَهَبِيٍّ

صَاحَ الْجَارُ : جُنَيْهٌ ذَهَبِيٌّ ! لَقَدْ نَسِيتُ شَكْلَهُ !

اِصْفَرَّ وَجْهُ الْجَارِ ، وَبَدَأَ يَجْرِي هُنَا وَهُنَاكَ ، مِثْلَ دَجَاجَةٍ مُوَزَّعَةٍ تَبْحَثُ عَنْ صِغَارِهَا ، وَعَادَ يَحْمِلُ إِلَيْهَا مَاطَلَبَتْ ، وَفَوْقَهُ هَدِيَّةٌ ، وَسَأَلَهَا : مِنْ أَيْنَ لَكِ هَذَا ؟ فَقَالَتْ :

- قَبْلَ أَنْ أَصِلَ إِلَى السُّوقِ قَابَلَنِي مَنِ اشْتَرَى مِنِّي الْبَيْضَةَ بِجُنَيْهٍ ذَهَبِيٍّ !

أَعْطَى الْجَارُ لِلأَرْمَلَةِ مَا اشْتَرَتْهُ ، وَعَادَ مُسْرِعًا، يَحْمِلُ مَا عِدَّهُ مِنَ الْبَيْضِ ، وَيَمْضِي عَلَى الطَّرِيقِ ، وَالْتَقَى بِهِ الرَّجُلُ نَفْسُهُ ، وَسَاوَمَهُ ، وَإِذَا بِهِ يَقُولُ لَهُ :

- لَنْ أَبِيعَ لَكَ الْبَيْضَةَ بِأَقَلَّ مِنْ ثَلاثَةِ جُنَيْهَاتٍ ذَهَبِيَّةٍ .

- أَلا تَكْتَفِي بِجُنَيْهٍ وَاحِدٍ ؟

- لا لا . . لا تُعَطِّلْنِي عَنِ السُّوقِ ، أَرْجُوكَ .

تَرَكَهُ الْعَجُوزُ ، وَعِنْدَمَا وَصَلَ الرَّجُلُ إِلَى السُّوقِ لَمْ يَجِدْ مَنْ يَشْتَرِي مِنْهُ الْبَيْضَ ، إِلا بِثَمَنٍ بَخْسٍ، لا يَزِيدُ عَلَى خَمْسَةِ قُرُوشٍ لِلْبَيْضَةِ ؛ فَعَادَ يَحْمِلُ كُلَّ الْكَمِّيَّةِ، وَخِلالَ رِحْلَةِ الْعَوْدَةِ حَاوَلَ





الْعَجُـوزُ أَنْ يَشْتَرِى مِنْهُ كُلَّ مَا مَـعَهُ بِمُقَابِلِ خَـمْسَةِ قُرُوشٍ . وكَـانَ الرَّجُلُ قَدْ تَعِبَ مِنْ حَمْلِ الْبَـيْضِ؛ لِذَلِكَ قَبِلَ الصَّفْقَةَ، فَقَالَ لَهُ الْعَجُوزُ :

- هَلْ تُعْطِينِى هَذِهِ السَّلَّةَ ؛ لأَضَعَهُ فِيهَا ؟

- أَبِيعُهَا لَكَ بِجُنَيْهٍ ذَهَبِىٍّ .

- لا لا . . لَسْتُ بِحَاجَةٍ إِلَيْهَا . ضَعْ يَدَيْكَ عَلَى عَيْنَيْكَ .

- لِمَاذَا !

- هُوَ مُجَرَّدُ رَجَاءٍ أَسْأَلُكَ إِيَّاهُ .

فَعَلَ الرَّجُلُ ذَلِكَ فَتَرَامَى إِلَى سَمْـعِهِ أَصْوَاتٌ غَرِيبَةٌ، اضطُرَّ إِزَاءَهَا إِلَى أَنْ يَفْتَحَ عَيْنَيْهِ لِيَجِـدَ الْعَجُوزَ يُلْقِى بَيْضَةً وَاحِدَةً بِقُوَّةٍ وَعُنْفٍ عَلَى الأَرْضِ لِتَتَحَطَّمَ .

مَدَّ الْعَجُوزُ - كَارَاكُونُوشُ - يَدَهُ ؛ لِكَىْ يَلْتَقِطَ مِنْ دَاخِلِ الْبَيْضَةِ الْمَكْسُورَةِ جُنَيْهًا ذَهَبِيا يَلْمَعُ ، وَوَضَعَهُ فِى جَيْبِهِ ، ثُمَّ أَلْقَى بَيْضَةً أُخْرَى ؛ لِيَأْخُذَ مِنْهَا جُنَيْهَاتٍ أُخْرَى، فِى حِينِ فَتَحَ الرَّجُلُ عَيْنَيْهِ فِى ذُهُولٍ ، وَحَاوَلَ أَنْ يَحُولَ بَيْنَهُ

وبَيْنَ تَحطِيمِ الْمَزِيدِ مِنَ الْبَيْضِ قَائلا :

- كَفَى أَرْجُوكَ ؛ فَقَدْ تَذَكَّرْتُ الآنَ أَنَّنِى وَعَدْتُ جَارَتِى بِهَذَا الْبَيْضِ ؛ لِذَلِكَ أَرْجُوكَ ، فَإِنَّنِى أَرْغَبُ فِى أَنْ أَسْتَعِيدَهُ.

تَجَادَلَ الرَّجُلُ مَعَ كَارَاكُونُوشُ فِى الأَمْرِ بِضْعَ دَقَائِقَ ، إِلَى أَنْ قَبِلَ أَنْ يَرُدَّ لَهُ الْبَيْضَ ، مُتَسَامِحًا مَعَهُ فِى الْبَيْضَتَيْنِ الْمَكسُورَتَيْنِ .

وَمَضَى عَنْهُ كَارَاكُونُوشُ بِضعَ خُطُواتٍ ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى الْوَرَاءِ ؛ لِيَرَى مَا سَوْفَ يَفْعَلُهُ ، فَوَجَدَ يَدَهُ قَد امْتَدَّتْ إِلَى بَيْضَةٍ لِيَكْسِرَهَا عَلَى حَجَرٍ صَغِيرٍ ، فَلَمْ يَجِدْ بِدَاخِلِهَا شَيْئًا ، فَأَخَذَ يَكسِرُ وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى دُونَ أَنْ يَعْثُرَ فِى أَىٍّ مِنْهَا عَلَى شَىْءٍ ، بَلْ لَمْ يَجِدْ فِيهَا قِرْشًا وَاحِدًا !

وَجَلَسَ الرَّجُلُ يَتَطَلَّعُ إِلَى حُطَامِ الْبَيْضِ الْمَكْسُورِ ، فِى حُزْنٍ وَأَسًى، وَفَجْأَةً قَفَزَ مِنْ مَكَانِهِ ، وَأَخَذَ يَرْكُلُ السَّلَّةَ بِقَدَمَيْهِ بِقُوَّةٍ ، إِلَى أَنْ أَطَاحَ بِهِ ، وَكَسَرَهُ عَنْ آخِرِهِ. فِى اللَّحْظَةِ الَّتِى خَرَجَ مِنَ الْبَيْضِ فَجْأَةً عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ النَّحْلِ ، وَأَخَذَ يَقْرُصُهُ ، وَهُوَ يَصْرُخُ :

- آهْ . . إِنَّهُ كَارَاكُونُوشُ !

وَارْتَفَعَ صَوْتٌ مُدَوٍّ مِنْ فَوقِ الْجِبَالِ ، سُمِعَتْ أَصْدَاؤُهُ فِى كُلِّ مَكَانٍ :

- كَارَاكُونُوشُ . . كَارَاكُونُوشُ . . كَارَاكُونُوشُ .

فهرس

رقم الإيداع ٥٤٠٦ / ٩٧ الترقيم الدولى: ISBN : 977 - 261 - 539 - 2



حكايات الشعوب

تؤلِّف الشعوب حكايتها الجميلة، تنبت لها أجنحةً، ترفرف بها وتطير مهاجرة حُرَّة لا تعرف الحدود أو القيود، تهبط فى هذه السلسلة فوق شجرتنا، تغرد، تغنى، تمتعنا، وتحلق عاليًا، تزيد من معرفتنا للإنسان فى كل زمان ومكان، تخاطب فينا وجداننا وعقولنا، وتثير فينا حُبًا للشعوب والناس والحياة على كوكبنا، هى حكايات ملونة، عذبة، جذابة، شيقة، رشيقة.

عناوين السلسلة

6 222002 115870

سفيمه ش جزيرة العرب - المهندسين - القاهرة - ص. ب: ٤٢٥ الدقى ت: ٣٣٧٩٧٥٢ - ٣٣٥٣٧١١ - ٣٣٥٣٧١٢ - ٣٤٩٤١٣٩ فاكس: ٣٤٨٠٢٩٩